

تحسين أداء قطاع البناء و التشييد في الأقطار العربية

الحفاظ على البيئة الطبيعية و التراث في مشاريع إعادة الإعمار

بيروت 2013

إن الحفاظ على البيئة الطبيعية و التراث في مشاريع إعادة الإعمار موضوع مهم جداً لأنه يتعلق بإعادة اعمار هوية المجتمع و رؤية مستقبلية للوطن . إن عمليات إعادة الإعمار فرص لبناء مجتمعات مستقرة, فاعلة و مزدهرة و لكن في اغلب الاوقات, نراها تتحول الى مشاريع للفساد يتحول الاعمار فيها الى اقتتال اقتصادي و يزيد من شرذمة المجتمع. لماذا ؟

إن اسباب تفشي الفساد في مشاريع إعادة الإعمار عديدة نذكر منها : حجم عمليات اعادة الاعمار , الالاحادية على سرعة العمل , المتغيرات في الوضع السياسي وضعف الدولة المركزية . كل هذه العوامل تعيق بناء رؤية متكاملة لمرحلة ما بعد الحرب و تفتح مجالات الى تفشي الفساد.

أن حجم و نطاق عمليات اعادة الاعمار عادة ما تتطلب تدخل منظمات و شركات كبيرة ذات موارد وقدرات مالية وافرة للقيام بالمشاريع. أن هذه الشركات , و خصوصاً الخاصة منها غالباً ما تكون اولويات اهدافها الربح . و لكن الخطورة هنا تكمن في الدرجة الاولى في عامل الاحتكار , مثال على ذلك شركة سوليدير لاعادة اعمار وسط بيروت التي اختصرت الاف المالكين و المستأجرين في هذه المنطقة الحساسة في وسط العاصمة في شركة واحدة و همشت دور القطاع العام و الدولة . 1

أما عامل الوقت و الالاحاح على إطلاق عملية الإعمار فله عدة اسباب موجبة: سياسياً , تعتبر إطلاق عملية الإعمار إشارة بأن الحرب قد إنتهت. وأما من الناحية الانسانية فالسرعة ضرورية لإعادة الاهالي إلى ديارها و لتثبيت السلم. ولكن تحت ذريعة السرعة تختصر وتغتنل دراسات إعادة الاعمار على البناء.

ان احدى ضحايا الحروب هي الادارات العامة و مؤسسات الدولة, إذ انها بعد سنين من الازمة و الانشغال في الامور الحياتية الملحة, تفقد الادارات الكثير من قدراتها للقيام بدراسات و تقديم رؤية متكاملة لاعادة الاعمار. و تحت ذريعة الفاعلية, تخلق سلطات و قنوات بديلة لتقديم المخططات و الدراسات و يتهمش القطاع العام .

و هكذا في غياب الرؤية الشاملة و الحاضنة لجميع مكونات الوطن تصبح مسألة إعادة اعمار الوطن, عملية إعادة اعمار الحجر.

و في هذه الحال نجد إن البيئة و الابنية التراثية آخر اولويات مشاريع إعادة الاعمار.

اول خطوة في عمليات إعادة الاعمار هي معالجة مسألة الركام و ذلك لتسهيل عودة الاهالي و البدء بالاعمار. في لبنان, بعد الحرب الاهلية استخدم الركام لردم البحر و تكبير مساحة شركة سوليدير. أما بعد حرب 2006 , قدر حجم الركام المندثر في القرى الجنوبية ب 1.8 مليون متر مكعب .2 نظم فريق عمل في كلية الهندسة و العمارة في الجامعة الأميركية لمساعدة البلديات , ووضع خطة لتدوير الركام و معالجته بواسطة كسارة متنقلة.

أن تدوير الركام , يزيل العوائق لعودة المهجرين دون توسيع رقعة المكبات او زيادة عدد هم . كما انها تحمي البيئة من ناحية اخرى إذ ان تدوير الركام الى مواد بناء يعاد استخدامه , يخفف من الحاجة الى مقالع جديدة. كما ان الكسارة لها مردود مالي على البلديات و يمكن ان تخلق فرص عمل . و لكن سرعان ما اصطدمنا بمعضلة قانونية . من يملك هذا الركام ؟ في الحالات الطبيعية , مالك المبنى هو مالك الركام . و لكن بعد الحرب إزِيل الركام و اختلط مع بعضه البعض و لم يعد واضح من المالك و المسؤول . هل هو من نقل الركام او البلدية التي نظمت عملية ازالة الركام او صاحب الارض حيث رمي الركام ؟ فان القانون اللبناني غير واضح . طرحنا هذه المسألة على المعنيين و حتى الان لم تاتي المعالجة و هكذا بسبب الازمة اكملت الحكومة اللبنانية حرب اسرائيل على الوطن بالسماح برمي الركام في احضان الطبيعة مسببت بتلويث المياه الجوفية و البيئة .

هنا يجدر الاشارة بان في حرب اسرائيل على لبنان في 2006, كانت البيئة احدى اهداف الحرب المباشرة. من قصف مشروع بحيرة محمية ابل السقي للطيور الى قصف مخازن الوقود في الجية

في 13 و 15 تموز قصف الطيران الاسرائيلي مخازن الوقود في محطة الجية لتوليد الكهرباء على الساحل اللبناني , 30 كيلومتر من العاصمة بيروت, ادى اولا الى حريق إستهلك 5500 طن من النفط و بعث بسموم على مدى ثلاث اسابيع , و من ثمة الى تدفق 15000 طن من النفط امتدى شمالا وتلويث 120 كيلومتر من شاطئ لبنان و سوريا. من هذه الشواطئ شاطئ مدينة جبيل الاثرية المندرجة على لائحة التراث العالمي. 3 سبب هذا العمل الاجرامي باكبر كارثة بيئية في شرق المتوسط . جراء العدوان على خزانات الوقود تآثرت معيشة 30000 عائلة بطريقة مباشرة , و اختل الامن غذائي والامن صحي للمواطنين وتآثر الاقتصاد جراء تآثر الحركة السياحية لعدة سنين . في ايام السلم تقع مسؤولية تنظيف التسريب النفطي و التعويض على عاتق شركات النفط المعنية و لكن في حالة الحرب , يجب على الدولة ملاحقة الدولة المعتدية للحصول على تعويض للتنظيف البيئي و اعادة التاهيل . بحسب تقارير جمعية الخط الاخضر فان احدى اسباب التأخير في تنظيف التسريبات النفطية كانت تقاعس الدولة و عدم تنسيق بين الوزارات المختصة 3. اما تحصيل التعويض من اسرائيل فحتى اخر سنة 2011, لم تتمكن الدولة اللبنانية من انجاز هذا الملف بالرغم من توفر السبل و الادوات القانونية لذلك . 4

ان التلويث البيئي هو من الاسلحة الفتاكة التي نرى استخدامها اكثر و اكثر في الصراعات الداخلية و الدولية لما لها من تاثير واسع النطاق و الزمن على الاوطان لذلك فان حماية البيئة و اعادة تاهيلها يجب ان تكون من اولويات أي خطة اعادة اعمار بدئا من الملاحقات القانونية في المحافل الدولية للجنات , الى المضي الجدي بعمليات التنظيف و ادراك تداعيات التلوث لما لها من تاثير على الصحة و الغذاء و الانتاجية و الاقتصاد على مدى طويل. أن التخازل في هذه المسألة يتعدى الفساد الى الاجرام

أما بالنسبة الى الابنية التراثية فالحفاظ عليها مسألة اكثر تعقيداً اذ انها تتناول مواضيع اكثر التباسا من البيئة , كالهوية , و علاقة اجزاء المجتمع ببعضها البعض و علاقة المجتمع بماضيه و مستقبله

في لبنان كان ما لم يقصف في الحرب , يجرف تحت عدة ذرائع : الذريعة السلامة العامة , لازالة الخطر من الابنية المتداعية : الذريعة التقنية إن ترميم الابنية التراثية يأخذ مجهوداً و وقتاً والذريعة النفسية لمحي ذاكرة الحرب الاليمة .

المعضلة الاولى في الحفاظ على التراث هي في تعريفه :

ففي مؤتمر العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة في نوفمبر 1972 في اول بند :
تعريف التراث الثقافي و الطبيعي نجد ان تعريف التراث عمومي ونسبي و مفتوح على التأويل 5.
اما المادة الثالثة من التعريف فلحظت ما بلي " لكل دولة طرف في هذه الاتفاقية , ان تعين و
تحدد مختلف الممتلكات الواقعة في اقليمها و المشار اليها في المادة 1 ... " تاركة تحديد التراث لكل
بلد على حدى.

في لبنان التعريف القانوني الوحيد الموجود لغاية اليوم هو في نص قانون الآثار قرار 166 صادر
في 7 \ 11 \ 1933 الذي ينص " " تعتبر اثار قديمة جميع الاشياء التي صنعتها يد الانسان قبل
سنة 1700و في حفظها صالح عمومي من وجهة التاريخ و الفن ".... 6

إثر إنتهاء المؤتمر العالمي للتراث في نصف شهر كانون الاول 1997 كان هناك إجماع على
ضرورة إعادة النظر في التشريعات القانونية المتعلقة بالتراث. فعملت مجموعة مهندسين و محامين
على قانون عصري تناول انشاء مجلس اعلى للتراث, يعمل على تحديد التراث و آليات للحفاظ
التراث من خفض ضرائب الى صندوق مستقل للتراث . تقدم هذا القانون العصري الى مجلس
النواب لإقراره سنة 2007 و من ثم سنة 2008 و حتى يومنا هذا لا يزال في الادراج.. لماذا ؟

في غياب الرؤية التنموية و الخطة الاقتصادية للنهوض بالوطن و هيمنة اصحاب المال على
الاقتصاد , اصبح الاعمار, نشاط تجاري و مصدر ارباح للاستثمارات . فإذا نظرنا الى قانون
التنظيم المدني و خاصة في بيروت , نرى انه يسمح بعوامل إستثمار عالية جداً, تسفر الى كثافة
سكانية عالية , لا مبرر له سوى السوق العقاري .

مع عوامل الاستثمار العلية هذه و بدون تامين أي تعويض للمالكين و عدم الاستقرار السياسي في
البلد و غياب القانون كان من الصعب جدا اقتناع مالكين الابنية التراثية التي تستخدم , في اغلب
الحالات لا اكثر من 20% من استثمارها , الحفاظ على هذه البنية . و مع هذا تقدمنا في 1996 ,
بدراسة للحفاظ على التراث مستخدمين منطق الحفاظ على احياء تراثية و مع آليات للتعويض .
وافق على الدراسة المجلس الاعلى للتنظيم المدني7. و لكن عند وصولها الى مجلس الوزراء , و
ضعت هي ايضا في الادراج .

هكذا يستخدم نسيج المدينة العمراني الى سلعة للبيع و الشراء و جني الاموال حتى في نظر القيمين على البلد نرى الدولة تزيد عامل الاستثمار (طابق المر) لتستفيد من قيمة الضرائب على رخص البناء لتمويل صندوق تعويضات المهجرين . وها نحن اليوم نسمع كلاماً عن مشروع قانون " طابق الميقاتي " لتمويل سلسلة الرتب و الرواتب, الذي يرفع عامل الإستثمار من 6% الى 50% في بعض المناطق . و هكذا يشارك القيمين على الوطن , اصحاب الاموال و النفوذ استغلال الاعمار و يقونن الفساد . 8

أن الاخطر في ترك إعادة الإعمار , بدون رؤية و تصور للمجتمع , الى القطاع الخاص هو عدم معالجة تداعيات الحرب. إن أخطر تداعيات الحروب , و خصوصاً الحروب الداخلية , هي التوقع و إنغلاق الجماعات على أنفسها و الابتعاد عن الشريك في الوطن .

لذلك إن أكبر و اهم تحدي في إعادة الإعمار يجب أن تكون في إعادة لحمة النسيج الاجتماعي في الوطن و الحفاظ على ذاكرة التعايش و الاختلاط الموجود في بلادنا لبناء مجتمع متكاتف و متين قادر على مواجهة خطر التقسيم و الاقتتال من جديد.

و من هنا اهمية المعالم التراثية اذ انها شاهد لا يمكن تجاهله على هذا التعايش. في لبنان امثلة كثيرة نذكر منها كنيسة مار ايلي (1753) في البلدة الدرزية بعقلين في جبل لبنان التي تذكرنا بلبنان ما قبل حرب 1860 عندما كان سكان بعقلين و دير القمر خليط من الدروز و المسيحيين. ان الحفاظ على المعالم التراثية امر واضح المعالم و سهل الإنجاز و ذلك لان في اغلب الاوقات تكون الابنية ملكاً عاماً او ملك اوقاف و ممكن ان يكون لها مردود مالي من النشاطات السياحية و الثقافية

أحدى اهم هذه المعالم في المدينة هي الاسواق القديمة حيث الاختلاط يوجد في شكل عفوي و طبيعي .

أن الأسواق لطالما كانت مكان تلاقي و تبادل ليس فقط للبضائع و انما للاحاديث و القصص . في بيروت كانت الاسواق القلب النابض للمدينة , ملتقى لجميع شرائح المجتمع لتنوع حجم المتاجر فيها من الحانة الى المتجر و تنوع الخدمات من الاسكافي الى الصاغة و تنوع

البضاعة من لوازم الدواب , من خرز ازرق للحماية من الحسد , الى افخر انواع الاقمشة . كان هناك مشتريات في متناول الجميع و بذلك كان الاختلاط بشكل يومي.

أما اليوم اعيد اعمار اسواق بيروت كمتجر كبير يباع في اغلبية اقسامه البسة نسائية لفئة من المجتمع. و هكذا اصبح وسط بيروت الجامع , وسط بيروت الفارغ و اصبح لكل منطقة من العاصمة اسواقها و متاجرها تأكد التباعد و الانغلاق, و خالقة ارض خصبة للخلاف.

اما الحفاظ على البيئة التراثية و النسيج التراثي فهو اصعب بكثير لان المباني ملك خاص و تحديات السكنية كبيرة

إن تحدي إعادة إعمار التراث العمراني يختلف بحسب الموقع و المحيط. ففي مدينة بيروت التحدي إقتصادي و سياسي , أما في البلدات و القرى فالتحدي في التوفيق بين النسيج العمراني و الكثافة السكانية للعائدين . هنا ايضاً يلعب عامل الوقت ضد التراث .

إن الصراعات و الحروب عادة ما تمتد على مدى سنين طويلة تتغير فيها كثافة السكان و عدد العائدين. و التغيير لا يكون فقط من ناحية العدد للعائدين و لكن في اختلاف تطلعاتهم و طريقة عيشهم . ففي مشروع الحفاظ على النسيج العمراني في بلدة صاليم الذي قمنا به في جمعية ايساد اصطدمنا بمتطلبات و توقعات العائدين من طرق واسعة الى امكانية وصول السيارة الى باب البيت في نسيج قرية جبلية تتميز بازقة و طرق ضيقة . هنا علينا التوفيق بين الحفاظ على التراث و حاجات السكان. 9

أهمية البيئة التراثية هي في تعاشها مع بيئتها الطبيعية و الاجتماعية . إن إعادة الإعمار إذن يجب أن تأخذ من النسيج التراثي المعايير البيئية للموقع و التكوين الاجتماعية للسكان اليوم.

إن مشاريع إعادة الإعمار مشاريع مكلفة و ضخمة تتطلب استثمارات كبيرة من قبل الوطن لذلك يجب ان تكون فرص لتنمية مستدامة للنهوض بالمجتمع .

مع الادراك بمحدودية الطاقة و الموارد الطبيعية إن إعادة الاعمار يجب ان تعتبر فرصة لتلحظ بنية تحتية حديثة تأخذ بعين الاعتبار التقنيات الجديدة من الطاقات المتجددة و تدوير المياه المبتذلة و جمع مياه الشتاء و تدوير الركام و مواد البناء. كما ان معايير البناء يجب ان تتجدد لتواكب مبادئ البناء الاخضر للمكان و الموقع

احدى اكبر تدعيات الحرب هي نزوح الاعداد الكبيرة من السكان من مكان الى آخر , خصوصاً الى المدن , هرباً من الاقتتال و بحثاً على لقمة العيش . ان هذا النزوح يفرغ مناطق من قاطنيها و يزيد الضغط على مناطق اخرى . لذلك ان اعادة الاعمار يجب ان تؤمن ليس فقط تمويلاً لاعادة اعمار المساكن , كما حصل في لبنان , ولكن تمويل مشاريع تنموية تؤمن معيشة كريمة للنازحين لتثبيتهم في مناطقهم و تفعيل دور البلدات و القرى . كما انها يجب تأمين التواصل بين المناطق دعماً للتنمية بشبكة نقل مشترك ذات مواصفات بيئية .

أن المحافظة على البيئة و التراث في مشاريع اعادة الاعمار تحدي كبير و لكنها ضرورة اساسية لاعادة اعمار الاوطان و التصدي الى تكرار تجربة الحروب و لاقتتال.

. أن المحافظة على البيئة واجب اخلاقي . اذ إن تدعيات التلوث البيئي لا تفرق بين غني و فقير و لا تقف عند حدود مناطق و لا توقفها الجدران و لا الاسوار العالية . أن البيئة هي الثابت و المشترك و الحاضن لنا و لاولادنا باي مستقبل .

أما التراث فهذه اعمال الاجداد ضاعت منها اسماء الافراد ليبقى العمل الجماعي شاهد على غنى تاريخنا بحضاراته و ثقافته براهين على التقارب و التجانس بين البشر و على التعايش , اساس لاي مجتمع , لان اعادة اعمار البشر هي التحدي الحقيقي في مشاريع اعادة اعمار الاوطان .

1. راجع كتاب : اعمار بيروت و الفرصة الضائعة . وسط بيروت التجاري و الشركة العقارية
1992

2. راجع : Environmental Impacts of Reconstruction Activities: A Case of Lebanon ; International Journal of Environmental Research, Vol.3, . No.2 Spring 2009 p. 302. Nasr , D., Massoud, M.A, Khoury , R. and Kabakian , V

3. راجع : Lebanon Oil Spill July 2006 - July2007 " Report compiled by Line Association. 2007 Green

4. راجع المقال : " اسرائيل ترفض ان تدفع لانسكاب النفط اللبناني "

Al-Akhbar English. 29 /11 / 2011. " Israel Refuses to Pay for Lebanese Oil Spill
Bassam al Qantar

5. راجع : " اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي " اقرها المؤتمر العام لمنظمة

الامم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة في باريس , نوفمبر 1972

" المادة 1 :

التراث " يعني "الثقافي" لاغراض هذه الاتفاقية :

الاثار: الاعمال المعمارية, و اعمال النحت و التصوير على المباني و العناصر او التكاوين ذات
الصفة الاثرية و النقوش و الكهوف و مجموعات المعالم التي لها جميعا قيمة عالمية استثنائية
من وجهة نظر التاريخ او الفن او العلم .

- المجمعات : مجموعات المباني المنعزلة او المتصلة التي لها بسبب عمارتها او تناسقها او
اندماجها في منظر طبيعي قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ او الفن او العلم.

- المواقع : اعمال الانسان او الاعمال المشتركة بين الانسان والطبيعة وكذلك المناطق بما فيها
المواقع الاثرية, التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخية او الجمالية او
الاثولوجية او الاثروبولوجية. "

6. راجع : نظام الاثار القديمة . قرار 166 \ ر. ل . صادر في 7 \ 11 \ 1933

7. راجع : محضر رقم 1 , السنة 1998 , المجلس الاعلى للتنظيم المدني , محضر الجلسة المنعقدة بتاريخ 7 \ 1 \ 1998.

8. راجع : " النواب ... " الطابق الميقاتي " مر . " النشرة - الاثنين 17 ايلول 2012. زهراء فردون

9. " Salimah: A Story of Reconciliation Between Built Heritage and Reconstruction." Ninth IASTE Conference. December 2004 . Sharjah . Dubai. Unpublished paper by article author

Lessons in Post-War Reconstruction: Case Studies from Lebanon in the Aftermath of the 2006 War (Hardback) – Description: Edited by Howayda Al-Harithy. *Published* 26th February 2010 by **Routledge**